

جوانب من التاريخ الاجتماعي والثقافي الإباضي من خلال كتاب "المعلقات في أخبار
وروايات أهل الدعوة" لمؤلف مجهول (ق6هـ/12م)

**Aspect of Ibadhi social and cultural history through a book "Al-Mu'allaqat fi
Akhbar and Narrations of the People of the Call" By an unknown Author**

د. حماد محمد^{1*}

¹ جامعة طاهري محمد- بشار (الجزائر)، mohammed.hemamed@univ-bechar.dz

تاريخ الاستلام: 2024/07/09 تاريخ القبول: 2024/11/27 تاريخ النشر: 2024/12/20

ملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية الأوضاع الاجتماعية والثقافية الإباضية من خلال كتاب "المعلقات في أخبار ورؤايات أهل الدعوة" لمؤلف مجهول (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، بالوقوف على العادات والتقاليد والمنجزات العلمية الإباضية. عبر إشكالية تبحث في مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية ومميزاتها العامة.
الكلمات المفتاحية: الإباضية ؛ المعلقات؛ العزابة؛ العلوم النقلية؛ المغرب الأوسط.

Abstract:

This research paper addresses the Ibadhi social and cultural conditions through the book "Al-Mu'allaqat fi Akhbar and Narrations of the People of the Call" by an unknown author (6 AH/12 AD) by identifying customs, traditions, and scientific achievements through a problem that examines the aspects of social and cultural life and its general characteristics.

Keywords: Ibadhi, Al-Mu'allaqat, Al-Azaba, Transmission Sciences, The Middle Magreb.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تروم هذه الورقة البحثية دراسة الأوضاع الاجتماعية والثقافية الإباضية من خلال كتاب " المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة" لمؤلف مجهول (عاش خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي). والاشكال المطروح ماهي مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية الاباضية ومميزاتها العامة من خلال هذا المصدر؟

1- تعريف موجز بكتاب المعلقات ومؤلفه:

تزخر المكتبات الإباضية بعدد المخطوطات في ميادين متنوعة كالفقه والسير والروايات وغيرها. يندرج كتاب "المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة" لمؤلف مجهول من ضمنها. ذكره أبو عمار عبد الكافي (ت قبل 570هـ) في موجزه حيث قال: "وكتاب المعلقات في حكايات أهل الدعوة ولم أدر من ألفه." (عبد الكافي، 2013، صفحة 293) واسم المؤلف مجهول، وإخفاء الاسم لعله يعود بالدرجة الأولى إلى الأوضاع السياسية التي عاشتها الفرقة الإباضية خاصة مع القرنين الخامس والسادس الهجريين /الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين من مضايقات هلالية وحمادية على وجه الخصوص. عاش مؤلف كتاب "المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة" خلال القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي على أغلب الظن، ويتضح ذلك من الشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم وعاصروهم، وهم علماء القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي من أمثال أبي يعقوب يوسف الوارجلاني (ت 570هـ) وأبي عمر عثمان بن خليفة السوفي وغيرهما. ويبدو أن ورجلان موطنه اتخذها مستقراً له لاعتبارات عديدة منها: الروايات الورجلانية التي بدأ بها مؤلفه وذكر أحوالها ومشائخها بدقة قد لا نجدها في مصادر أخرى انفرد بها صاحب المعلقات، تجدر الإشارة أن هذا المخطوط قام بتحقيقه الباحث بابرز سليمان بن إبراهيم.

أ- منهج الكاتب في التأليف:

التصفح ١١ ورد في مضمون كتاب "المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة" يجده يولي عنايةً واهتمامًا بالجوانب الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية، متنزها عن الأحداث التاريخية-السياسية ١٢ ألوفة الا نادرا. حيث يسوق حكايات وروايات في شكل حكم ومواعظ ووصايا، هادفا من وراء ذلك تثبيت العقيدة في نفوس الأجيال القادمة وتقويتها في قلوب أتباع ١٣ ذهب الإباضي والحث على تمتين أواصر الأخوة وتوطيد العلاقات الاجتماعية بين أفراد ١٤ المجتمع.

سلك صاحب المعلقات منهج بحث متفرد، إذ خصص لكل منطقة من مناطق التواجد الإباضي بالمغرب لاسيما المغرب الأوسط عنوانا سماه بـ "حكايات" تلك المنطقة. ويذكر ما يُنسب إليها من روايات كذكره "حكايات وارجلان" "حكايات أرغ" و"حكايات سوف" وغيرها من الحكايات.

ورد في كتاب "المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة" ١٥ مؤلف مجهول (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) العديد من المواضيع، وقفنا في بحثنا هذا على جوانب اجتماعية وأخرى ثقافية أملت أملتها مقتضيات وطبيعة مخطط البحث.

2- الجانب الاجتماعي:

أ- فئات المجتمع:

بناء على ما ورد من نصوص وإشارات في كتاب "المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة" ١٦ أمكن استنتاج الفئات الاجتماعية وتصنيفها على النحو الآتي:

1- فئة المشايخ: فئة تتولى تدبير شؤون البلاد والعباد، وكان في عهد الدولة الرستمية يتم تعيين هؤلاء ١٧ شايخ من قبل ولاية تهرت قبل سقوطها سنة 296هـ/909م. (بونار، 2019، صفحة 122).

حيث يتولى الشايخ تسيير منطقة وارجلان، يديرون شؤونها وينظمون أمورها في شتى مناحي الحياة، فقد حكم أثناء الدولة الرستمية الشيخ أبو صالح جنون بن يمران

المهراسني الوارجلاني (300-350هـ)، بتوليه مشيخة وارجلان، حزم أمورهما ووحدهما على تقوى □، وعمل على إطفاء الفتن، له الفضل في ازدهار الحياة العلمية وتنظيم العلاقات الاجتماعية، ترك لنا آثارًا علمية وتآليف كثيرة. (مجهول، 2009، الصفحات 52-53)
وكان أهل ورجلان يجتمعون عند مسجد الشيخ أبي صالح جنون ليستفيدوا منه علمًا ويتبركون بمشاهدته ويشاركونه دينه ودنياه، ويقتنون من خلقه. (الدرجيني، 1974، صفحة 144)

ومن جملة الشائخ ذكر صاحب المعلقات مساهمة الشيخ أبي عمار عبد الكافي (ت قبل سنة 570هـ) بورجلان، ممن أحيا حلقة العزابة، فقصده الطلبة من كل المواطن وكان ناصحًا لهم في العلم والدنيا ومن مواعظه: التدبير في المعيشة يلقي عنك نصف المؤونة. وقيل المؤونة كلها. (مجهول، 2009، الصفحات 71-72)

تتميز هذه الفئة من المجتمع بالعلم والحكمة والجاه وحسن تدبير المجتمع وتسييره سياسيا في غياب السلطة الاباضية الظاهرة (إمامة الظهور)، عبر مجالس وأنظمة بديلة كنظام العزابة الذي أسس بدايات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.
(2) فئة العلماء:

فئة لها الفضل الوافر في إنارة العقول ونشر العلوم بين أفراد المجتمع من وعظ وإرشاد وتوجيه ونصح، كان لهذه الفئة مساهمة كبيرة في الحركة العلمية الإباضية. ومن جملة من ذكر صاحب المعلقات:

-العالم عيسى بن سجميمان النفوسي (300-350هـ) عالم وفقه انتقل إلى ورجلان واستقر بها، له فتاوى فقهية وأصولية في كتب الفقه والسير. سئل عن كفارة وطء الحيض. فقال: يتوب ويستغفر. قيل فإن عاد -وكرر ثلاثا-؟ فأجاب الجواب الأول. وعند الرابعة قال. حرمت عليه أبدا. (مجهول، 2009، الصفحات 62-63)

على أن رواية الشماخي يذكر أنه قال: كفارة من وطئ في الحيض يتصدق بخمسة دنائير، وقيل بأربعة، وقيل بثلاثة... حتى قيل برع وقيل بشيء ما. (الشماخي، 1992، صفحة 138)

- ومنهم أيضا عمران بن زبيري (400-450هـ) عالم مجتهد وحكيم، ورع وزاهد من وارجلان. من المشائخ الثلاثة الذين قال فيهم أبو صالح تبركيت: إذا نظرت إليهم علمت بأنني أحتاج إلى التوبة. (الشماخي، 1992، صفحة 119) وذكر صاحب المعلقات قول: "أين من يفعل أفعال عمران بن زبيري". (مجهول، 2009، صفحة 85)

حملت هذه الفئة على عاتقها ضرورة تعليم النشء مبادئ المذهب الإباضي وحمائته من الاندثار في ظل الظروف السياسية والعسكرية السائدة وقتذاك، وبناء المساجد والمدارس وتأسيس نظام تفرد به الإباضية عن بقية المذاهب الدينية الأخرى ألا وهو نظام العزابة الذي أسسه العالم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر سنة 409هـ.

(3) فئة القضاة:

القضاء هو الفصل بين الناس في خصوماتهم ونزاعاتهم ويكون ذلك بالأدلة الشرعية. ويتولى هذا الأمر القاضي، حيث يراعي الشريعة الإسلامية في أحكامه. مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ بِكُلِّ آلٍ إِلَهُهُ بِالْحَقِّ يُحْكُمُ الْإِنسَانُ أَنَّ اللَّهَ وَلَا تُكْرَهُ لِلْأَمْرِ خَصِيمًا﴾ (القرآن الكريم، سورة النساء: 105)

أشار صاحب المعلقات إلى الفقيه أبي عمران موسى بن علي بن أبي علي الياجراني (450-500هـ)، كان فقيها وقاضيا بورجلان (مجهول، 2009، صفحة 89) وقال عنه الشماخي: "أبو عمران مذكور في زمرة العارفين... ذكر عنه أن للمرأة الصداق والإرث إذا مات زوجها". (الشماخي، 1992، صفحة 153)

ويمكن القول أن هذه الفئة حظيت بمنزلة هامة داخل المجتمع الإباضي لما لها من مساهمة في استقرار المجتمع وأمنه وازدهاره، يتحملون أمانة إقامة العدل بين الناس، بحسبهم الخلافات والفصل في المنازعات بين أفرادهم، دفعًا للظلم ونصرةً للمظلوم. وقد

دعم مشائخ الاباضية هذا الجهاز بقانون الخطة والهجران لردع المخالفين والمنحرفين في المجتمع .

(4) فئة التجار:

اشتهرت وارجلان بتجارها العالمية، حيث انعكس ذلك على مداخيل سكانها ومستواهم المعيشي، فقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن سكانها كانوا مياسير وأغنياء. يقول حسن الوزان (ليون الإفريقي): "وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا، يوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى، الصناعات فيها كثيرون وسكانها أغنياء جدا، لأنهم في اتصال مع مملكة أكدز منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغراء عن البلد..." (الوزان، 1983، صفحة 136)

وذكر صاحب المعلقات أن عبد □ بن محمد السدراتي (450-500هـ) من علماء وتجار ورجلان الذين كانوا يسافرون إلى بلاد السودان للدعوة والتجارة. (مجهول، 2009، صفحة 133)

إن نمو التجارة وبروز فئة التجار بورجلان يرجع أساسا إلى موقعها الاستراتيجي الذي جعلها محطة هامة لاستراحة القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان أو تلك التي توجه نحو شمال المغرب الأوسط وأوروبا، مما جعلها بحق ميناء تجاريا صحراويا بامتياز. وأدى إلى بروز فئة التجار بالمجتمع الورجلاني وتحكمها في الأسواق التجارية وسلعها خاصة سلعتي التبر (الذهب) والعبيد عمليتي العصور الوسطى.

(5) فئة العبيد والجواري:

فئة الجواري والعبيد من الفئات الاجتماعية المهمشة تواجدت بورجلان، ففي رواية حسن الوزان (ليون الإفريقي) يقول: "وأغلب الناس -بورجلان- سود لا بسبب المناخ، لكن لأن لهم جواري سوداوات يتسرون بهن، فيأتين بأولاد سود." (الوزان، 1983، صفحة 136)

وجاءت إفادات هامة من كتاب المعلقات عن هذه الفئة حيث يذكر: "سئل يحي بن أبي بكر في النساء والعبيد هل يبلغون من العلم حتى يجوز لهم الرأي؟ فمن جوابهم: أنهم لا يجوز لهم ذلك. لأنهم ناقصوا الدين والعقل. وقال هو: يجوز لهم ذلك" (مجهول، 2009، صفحة 93).

وقد استعمل العبيد والجواري في مجالات متنوعة كخدمة الأرض الزراعية وتدير أمور البيت وغيرها. فشكل الرقيق بضاعة رائجة في أسواق ورجلان خلال العصر الوسيط. وهذا ما يستشف من رواية ابن سعيد الغري: "واركلان بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وأفريقية". (ابن سعيد، 1970، صفحة 126)

(ب) العادات والتقاليد الإباضية:

1- الحياة اليومية:

1-1 المسكن:

يعد المسكن من ضرورات الحياة اليومية، يأوي إليه الإنسان ليقية حر الصيف وزمهرير الشتاء. يحفظ عرضه وماله وعياله، لذلك جاء في كتاب المعلقات نصيحة على لسان أبي صالح جنون أنه قال لبنية: "يا بني، أوصيكم بثلاثة: إذا انتقلتم من بلد تريدون بلدا آخر فلا تنتقلوا حتى تهيئوا لأنفسكم مسكنا تسكنون فيه، ولا تسكنوا عند الناس، فإن في ذلك إحدى ثلاث خصال، إن أطلتكم في الإنفاق سميت مبدرين، وأن أمسكتكم قيل: أشحة، فإن لم تفعلوا هاتين قيل: هؤلاء فقراء". (مجهول، 2009، صفحة 53)

إن المسكن من السكنية يلجأ إليه الإنسان بعد عناء النهار للراحة. قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾. (القرآن الكريم، سورة النحل: 80) لذلك اهتم الإباضية بالمسكن وجعلوه من اهتماماتهم الأساسية، يأوون اليه ويدخرون مؤونتهم ويستقبلون ضيوفهم فيه.

2-1 المأكّل:

بما أن المنطقة التي ينتمي إليها صاحب المعلقات منطقة صحراوية بالمغرب الأوسط وهي منطقة وارجلان، فإن المصادر والخطوط أشارت إلى غنى المنطقة بثرواتها المائية: أنهار ووديان، آبار وعيون. يقول أعزام إبراهيم: "بورجلان مائة و خمسة وعشرين بلدة كلها عامرة بالإباضية بسط الله عليهم الأرزاق وأودية من المياه... وفي هاته الحوزة ألف واحد وخمسون عينا جارية، ناهيك بعين تسمى واد الصفا في ناحية سدراتة." (إبراهيم، د.ت، صفحة ورقة 25)

الشيء الذي انعكس بالإيجاب على الإنتاج الفلاحي وتنوعه (حبوب، خضر، فاكهة، وتربية ماشية...) وقد ساق لنا صاحب المعلقات نصا في شكل نصيحة للاهتمام بالمنتج الزراعي، حيث يقول: "يا بني، إن كنتم ممن له غلة، فعليكم بالقيام بها والتحفظ عليها حتى تحصل، وإن كنتم ممن يشتريها فلتبادروا إلى ذلك ما لم تصل في المخازن، وإن كنتم ممن يطلبها فلتطلبوها ما دامت على الأشجار قبل أن يتحفظ عليها. فإنه قيل: من يطلب مزرعة خير ممن يطلب منقلة ومن يطلب منقلة خير ممن يطلب ثمنة، ومن يطلب ثمنة خير ممن يطلب صاعا..." (مجهول، 2009، الصفحات 53-54)

والنص دعوة للاهتمام بالإنتاج والادخار وتخزين الأقوات لأوقات القلة والحاجة انطلاقا من قوله تعالى: ﴿لَا تَرَوْنَ سَعَةً سَبِيلَ دَاوُدَ... حَصَدْتُمْ فَارَوْهُ فِي سُبُلٍ، إِلَّا قَلِيلًا مِّنَ تَاكُونٍ﴾ (القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 47)

والألاحظ أن وفرة الإنتاج الفلاحية بورجلان انعكست على المستوى المعيشي، حيث وُصف سكان ورجلة بالقبائل المياسير. يقول الشريف الإدريسي: "ومن مدينة أسيلة إلى ورجلان اثنا عشر مرحلة، وهي مدينة فيها قبائل مياسير..." (الإدريسي، 1864، صفحة 120)

وهي شهادة مصدرية تؤكد لنا غنى سكان المنطقة، بل نجدهم لا يألون جهدا لإكرام الضيف، يستقبلون الغرباء استقبالا حسنا على حد تعبير حسن الوزان. (الوزان، 1983، صفحة 136)

3-1 الملبس:

اشتهرت حاضرة وأرجلان بتربية الماشية (أغنام، إبل،...) لذلك كانت مادة الصوف والوبر المادة الأساسية في الصناعات النسيجية متوفرة بما يسمح بازدهارها. فقد جاء في كتاب المعلقات وصية صالح بن يمران لبنيه يقول فيها: "يا بني عليكم بالصوف من خلال الإسلام ويصون نسائكم من الغيبة، ولا تخلو دياركم من البهائم والسائمة فإن المرعية منها يحملها الفحص. وما لم يرع منها تقومون بها في البيوت." (مجهول، 2009، صفحة 54)

لا شك أن اللباس يمثل المرجعية الثقافية والحضارية لكل أمة، فلباس المسلم صون له وعفة، رمز للحياء وفطرة خلقها الله في البشر. يقول عز وجل: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قُلْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةَ بِطَوَافٍ عَلَيْكُمْ وَإِنْ شَاءَ رَبُّنَا يُُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مَائِدًا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ تَحْتِهَا نَاقُورٌ مِثْلُ الْقُرُونِ﴾ (الفرقان الكريم، سورة الأعراف: الآية 26)

ولأهمية اللباس تأتي نصيحة من صاحب المعلقات يقول فيها: "يا بني عليكم بشراء كسوتكم للشتاء في الصيف، فإن بذلك تبقى في كسوة الصيف بقية، ونشترون ذلك في أوان رخصه، ولا يجد فيكم من يتكلم ما يقول، فإن من دخل عليه الشتاء ولم ينظر في كسوته فلا يخلو من قائل يقول: إنما تأخر بهذا طمعا في الناس أن يكسوه." (مجهول، 2009، صفحة 53)

ج- المرأة الإباضية:

تحتل المرأة منزلة هامة في المجتمعات الإسلامية لما خولها الشرع من حقوق، فهي الركيزة الأساسية والدعم القوي التي تبنى عليها الأسرة، فهي بذلك نواة المجتمع. لذلك نجد في المصادر التاريخية شهادات على دور المرأة الفعال في بناء المجتمع. والمرأة الإباضية مثالا عن ذلك، حيث يقدم صاحب المعلقات نصّا يبين من خلاله مهام النساء الإباضيات

فيقول: "... نعم اصبر لها لأنها طبخة، خبازة لي، حافظة لمالي، غسالة لثيابي، صيّن لولدي، ستر ما بيني وبين النار." (مجهول، 2009، صفحة 59)

والنص قد أجمل مهام المرأة الإباضية، حيث تقوم بعملية عجن الدقيق وتنظيف ملابس أفراد البيت، تربية الأبناء، بل قد نجد لها تقدم على حلب البقر والماعز وغزل الصوف واستقاء الماء من العيون، وهي مهام ثقيلة وأعباء جسيمة تقع على كاهل المرأة، ناهيك عن الأعمال المنزلية الأخرى من كنس وطهي.

بل اضطلعت المرأة الورجلانية بمهام دينية من خلال مساهمتها كعضو من أعضاء حلقة العزابة ضمن المجلس الديني للنساء، حيث نجد منهن الغسلات وغيرهن. (ناصر، 1989، صفحة 44)

د- التكافل الاجتماعي:

خلق التآزر والتكافل الاجتماعي من الأخلاق السامية التي دعا إليها الدين الإسلامي، وقد تجذر هذا الخلق عند الإباضية، لإدراكهم أبعاده الاجتماعية والنفسية والإدائية، فأسسوا نظام العزابة منذ القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي. هذا النظام الذي تتجسد فيه روح الجماعة والتعاون في شتى الميادين وعبر العصور، يسهر شيوخ النظام على إدارة وتسيير شؤون الناس الاجتماعية على وجه الخصوص، يهتمون بالمرضى والأرملة والفقير والمحتاج وعابري السبيل. ومن القرائن على ذلك ما ذكره صاحب المعلقات عن وصايا مناد بن محمد حيث يقول: " ودخل عليه مناد الكبير يزوره وهو مريض، فقال له: قال النبي صلى الله عليه وسلم امش ميلا زر مريضا، امش ميلين أصلح بين اثنين، امش ثلاثة أميال زر اخاك في الله." (مجهول، 2009، الصفحات 135-136)

فالنصوص الواردة في كتاب المعلقات تدعو للاهتمام بالفرد والجماعة الإباضية برعايتهم الصحية والاجتماعية وتعليمهم، بتأسيس الكتاتيب والمدارس لتعليم الصغار والكبار وتطوير مناهج التعليم استجابة لحاجات الفرد والجماعة.

3- الميدان الثقافي:

أ- مجال العلوم النقلية:

العلوم النقلية تشمل العلوم الدينية على وجه الخصوص، وكلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في الحاق الفروع من مسائلها بالأصول، وأصل هذه العلوم النقلية كلها من الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله. وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للإفادة وأصناف هذه العلوم كثيرة (ابن خلدون، 2000، الصفحات 549-550) منها: التفسير، الفقه، علم الكلام وعلم الحديث وغيره...

وقد اهتم العلماء الإباضيون بهذا الفن من العلوم، حيث أشار صاحب المعلقات إلى العديد من المسائل الفقهية منها:

1-الوضوء:

شرع الله لعباده الوضوء عند إرادة الصلاة، قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَلَنْ تُكْمِلُوا جَبًا فَاظْهَرُوا...﴾ (القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 6)

وقد أشار صاحب المعلقات إلى مسائل الوضوء والتيمم في العديد من المواضع، من ذلك ما حكى عن الشيخ مزين بن عبد الله (ق5هـ) أن: " التيمم بالماء أولى من التيمم بالتراب." (مجهول، 2009، صفحة 126)

واختلف الناس فيما يجوز التيمم به، فقال بعضهم 'يجوز التيمم بالتراب والرمل، لقوله تعالى: ﴿...فَبَرِّجِدُوا مِنْهَا مَسْحًا طَيِّبًا فَاغْسِلُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ مِنْهُ مَا يَرِيذُ اللَّهُ بِجَعَلِ دَعْوَاكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ ابْطَهَرَكُمْ وَاتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 6)

لذلك فإن أهمية الوضوء تكمن في كونه شرط من شروط الطهارة، تصح بها العبادات خاصة الصلاة.

2- الزكاة:

ومن المسائل الفقهية أشار صاحب المعلقات أيضا الى الزكاة حيث يقول: " أن امرأة سألت: هل يجوز أن تدفع زكاة مالها لزوجها وهو فقير؟ فردها إلى الشيخ أبي نوح: يجوز لها أن تدفع ذلك لزوجها. وفي رجل له ما تجب فيه الزكاة، وعليه دين بمقدار ذلك؟ قال: ليس عليه زكاة." (مجهول، 2009، الصفحات 55-65)

إذا فالزكاة صدقة وعمل خيري الزامي يدفعها الأغنياء من أموالهم وممتلكاتهم لفقراء ومساكين المسلمين، تغنيهم عن التسول وتدعمهم لشراء حاجياتهم الأساسية. وقد أولى فقهاء الاباضية بهذا الركن من أركان الاسلام عناية، لأنه يحقق العدالة والمساواة والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الاباضي.

3- مسائل النكاح وقضاياها:

كما ذكر صاحب المعلقات مسائل فقهية متعلقة بالنكاح، حيث يشير الى مسألة: "رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقا وتوفي عنها قبل أن يدخل بها؟ فمن قولهم جميعا: لها الميراث وليس لها صداق. وقال الشيخ علي بن أبي علي: لها الميراث ولها الصداق المثل." (مجهول، 2009، صفحة 88)

وأورد العديد من قضايا ومسائل الطلاق، حيث ذكر مسألة: "رجل طلق امرأته ثلاثا، هل يتزوج أختها قبل انقضاء العدة؟ فمن جوابهم أنه لا يتزوج أختها حتى تنقضي العدة." (مجهول، 2009، صفحة 66) ورواية أخرى عن: "حكم طلاق الرجل لزوجته رجل آخر؟ قال: لا يجوز." (مجهول، 2009، صفحة 134)

وفي مسائل الحيض ذكر صاحب المعلقات أن "القاضي أبو الحسن العماني (ت 545هـ) سئل عن الوطء في الحيض؟ فقال: يتوب ويستغفر. قيل وإن عاد-وكرر ثلاثا؟ أجاب بالجواب الأول، وعند الرابعة قال: حرمت عليه أبدا." (مجهول، 2009، الصفحات 62-63) مصداقا لقوله تعالى: ﴿نَاءَتُزُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا قُرُوهِنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ

فَأُتْرُكْنَ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (القرآن الكريم، سورة البقرة: الآية 222) وفي المرأة متى تيأس من الحيض؟ قال: إذا أكملت خمسين سنة. (مجهول، 2009، صفحة 124)

4- الشبهات:

وفي مسألة الشبهات ذكر صاحب المعلقات: "قيل للشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم. ما الحكم في الأموال؟ قال: حلال صرف وحرام صرف وشبهة. فالواجب استعمال الحلال وترك الحرام والإمساك عن الشبهات. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه." (مجهول، 2009، صفحة 74)

ومجمل القول فإن كتاب "المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة" من أهم المصادر الاباضية التي احتوت على مادة فكرية متنوعة وغزيرة عن الحياة الاجتماعية والثقافية، استعنا به للوقوف والتعرف على المجالين الاجتماعي والثقافي خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي، حيث قدم لنا معلومات قيمة قد لا نجدها في مصادر أخرى، فسدد بذلك ثغرات جمة في التاريخ الاجتماعي والثقافي الاباضي خلال الفترة المدروسة.

4- خاتمة :

يستخلص من دراسة جوانب التاريخ الاجتماعي والثقافي الإباضي من خلال كتاب "المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة" لمؤلف مجهول القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي النتائج الآتية:

ـ بروز وارجلان كحاضرة من الحواضر الصحراوية العلمية والثقافية ببلاد المغرب الأوسط، واهتمام شيوخها وعلمائها بالعلم، حيث كان لهم دور فعال في الحياة الاجتماعية الاباضية منذ سقوط الدولة الرستمية الاباضية على يد العبيديين أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع ميلادي.

_ حفلت وأرجلان بالعديد من العلماء منهم الشيخ أبي صالح جنون بن يمران وأبي عبد الله محمد بن بكر، أبي عمار عبد الكافي، أبي زكرياء يحيى بن بكر الوارجلاني، وأبي يعقوب يوسف بن سيلوس، فكانت مقصد المتعطشين من طلاب العلم يأتونها من مختلف الأماكن والناطق للنهل من علومها ومعارفها والأخذ عن مشائخها.

- أن حاضرة وأرجلان شملت العديد من المدن والقرى مثل أرغ، سوف وغيرها. وصارت بدورها مراكز إشعاع ثقافي، فلا غرو أن هذه المناطق شهدت نهضة علمية من خلال ما ذكره صاحب المعلقات من روايات وأخبار عنها .

- تعددت مظاهر الحياة الاجتماعية الاباضية في العصر الوسيط من عادات وتقاليد وأنماط معيشة، ومسكن وملبس. وأن التأزر الاجتماعي سمة من سمات وأخلاق المجتمع الاباضي. وقد تعزز هذا الخلق بإطار تنظيمي منذ القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي بتأسيس نظام العزابة.

_ كان للمرأة الاباضية الوارجلانية حضور قوي ودور بارز في المجتمع الاباضي، ساهمت في تماسك أفرادها، وأدت أدوارا في مختلف المجالات بما في ذلك الدينية .

- عرفت الحياة الثقافية الاباضية نهضة نتيجة نشاط العلماء والفقهاء الاباضيين من تدريس وتأليف.. شملت العلوم النقلية من تفسير وفقه واجتهادات فقهية في مسائل ونوازل متعددة، وطغى على الحياة العلمية الاجتهاد في العلوم الدينية والجدل المذهبي والمناظرات الدينية والفكرية باعتبارها من الأصول العقدية للمذهب الاباضي.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1. أبو العباس الدرجيني. (1974). طبقات المشائخ بالمغرب (المجلد ج1). قسنطينة، الجزائر: مطبعة البعث.

2. أبو عمار عبد الكافي. (2013). الموجز (المجلد ج2). (تح: عمار طالبي، المترجمون) الجزائر، الجزائر.

3. أحمد بن سعيد الشماخي. (1992). كتاب السير (المجلد 2). سلطنة عمان: وزارة التراث القومي و الثقافة.
4. أعزام إبراهيم. (د.ت). مخطوط غصن البان في تاريخ ورجلان، مخ. غرداية، الجزائر: جمعية التراث.
5. الشريف الإدريسي. (1864). المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. بريل: طبع ليدن.
6. المغربي بن سعيد. (1970). كتاب الجغرافيا. بيروت، لبنان.
7. حسن الوزان. (1983). وصف إفريقيا (المجلد 2). دار الغرب الإسلامي.
8. رابح بونار. (2019). المغرب العربي، تاريخه وثقافته. الجزائر: البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.
9. عبد الرحمن بن خلدون. (2000). المقدمة (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
10. مجهول. (2009). كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة (الإصدار وزارة التراث والثقافة). (بابيز الحاج سليمان بن إبراهيم، المترجمون) مسقط، سلطنة عمان.
11. محمد ناصر. (1989). حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي. الجزائر.